

مجمع الأمثال

1732 - زُرُّ غَيْبًا تَزْدَدُ حُبًّا .

قال المفضل : أول من قال ذلك مُعَاذُ بْنُ صِرْمٍ الْخُزَاعِيَّ وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ عَكٍّ وَكَانَ فَارِسَ خَزَاعَةَ وَكَانَ يَكْثُرُ زِيَارَةَ أَخُوَالِهِ قَالَ : فَاسْتَعَارَ مِنْهُمْ فَرَسًا وَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ جُحَيْشُ بْنُ سُودَةَ وَكَانَ لَهُ عَدَاوَةٌ : أَتَسَابِقُنِي عَلَى أَنْ مَنِّ سَبَقَ صَاحِبَهُ أَخَذَ فَرَسَهُ ؟ فَسَابَقَهُ فَسَبَقَ مُعَاذٌ وَأَخَذَ فَرَسَ جُحَيْشٍ وَأَرَادَ أَنْ يَغِيظَهُ فَطَاعَنَ أَيُّطَالَ الْفَرَسَ بِالسَّيْفِ فَسَقَطَ فَقَالَ جُحَيْشُ : لَا أُمُّ لَكَ قَتَلْتَ فَرَسًا خَيْرًا مِنْكَ وَمَنْ وَالِدِيكَ ؟ فَرَفَعَ مُعَاذُ السَّيْفَ فَضْرَبَ مَفْرَقَهُ فَقَتَلَهُ ثُمَّ لَحِقَ بِأَخُوَالِهِ وَبَلَغَ الْحَيِّ مَا صَنَعَ فَرَكَبَ أَخٌ لَجَحِيشٍ وَابْنُ عَمٍّ لَهُ فَلَحِقَاهُ فَشَدَّ عَلَى أَحَدِهَا فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ وَشَدَّ عَلَى الْآخَرِ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ وَقَالَ فِي ذَلِكَ : .

ضَرَبْتُ جُحَيْشًا ضَرْبَةً لِلنَّيْمَةِ ... وَلَكِنْ بِصَافٍ ذِي طَرَائِقٍ مُسْتَكَّةٍ .
قَتَلَتْ جُحَيْشًا بَعْدَ قَتْلِ جَوَادِهِ ... وَكُنْتُ قَدِيمًا فِي الْحَوَادِثِ ذَا فَتَكَةٍ .
قَصَدْتُ لِعَمْرٍو بَعْدَ بَدْرٍ بِضَرْبَةٍ ... فَخَرَّ صَرِيحًا مِثْلَ عَائِزَةِ النَّسُكَةِ .
لَكِي يَعْزَلُ الْأَقْوَامُ أَنِّي صَارُمٌ ... خُزَاعَةُ أَجْدَادِي وَأَنْمَى إِلَى عَكٍّ .
فَقَدْ ذُقْتُ يَا جَحْشُ بْنُ سَوْدَةَ ضَرْبَتِي ... وَجَرَّ بَتْنِي إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلُ فِي شَكٍّ .

تَرَكْتُ جُحَيْشًا ثَاوِيًا ذَا زَوَائِجٍ ... خَضِيبَ دِمِّ جَارَاتِهِ حَوْلَهُ تَبْكِي .
تَرَنَّ عَلَى أُمِّهِ بَانَتْ حَايَهَا ... وَتَفْشَرُ جِلْدَيْ مَحْجَرِيَّهَا مِنَ الْحَكِّ .
لِيَرْفَعَ أَقْوَامًا حُلُولِي فِيهِمْ ... وَيُزْرِيَ بِقَوْمٍ - إِنْ تَرَكْتَهُمْ - تَرْكِي .
وَحَمْنِي سَرَاعَةَ الطَّرْفِ وَالسَّيْفِ مَعْقَلِي ... وَعَظْمِي غِبَارُ الْحَرْبِ لَاعِبَقُ الْمَسْكِ .

تَتَوَقَّعُ غَدَاةَ السَّرْوَعِ نَفْسِي إِلَى الْوَغَى ... كَتَوَقَّعَ الْقَطَا تَسْمُؤِي إِلَى الْوَشَلِ الرَّكِّ [ص 323] .

وَلَسْتُ بِرِعْدٍ يَدِي إِذَا رَاعَ مُعْضِلٌ ... وَلَا فِي زَوَادِي الْقَوَمِ بِالضَّيْقِ الْمَسْكِ .
وَكَمْ مَلِكٍ جَدَّ لَتُّهُ بِمُهَنْدٍ ... وَسَابِغَةٍ بِيَضَاءِ مُحْكَمَةِ السَّكِّ .

قال : فَأَقَامَ فِي أَخُوَالِهِ زَمَانًا ثُمَّ إِنَّهُ خَرَجَ مَعَ بَنِي أَخُوَالِهِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ فِتْيَانِهِمْ

يتصيّـدُونَ فحملَ معاذَ على عـِيرٍ فلحـرقه ابنُ خـالٍ له يقال الغضبان فقال : خـلّـى عن العـيرِ فقال : لا ولا نعمت عين فقال له الغضبان : أما واللّه لو كان فيك خـيـرٌ لما تركتَ قومك فقال معاذ : زُرْ غـيـّاً تـزـدّدْ حبا فأرسلها مثلاً ثم أتى قومَه فأراد أهلُ المقتول قتلَه فقال لهم قومَه : لا تقتلوا فارسكم وإن ظلم فقـبـلوا منه الدّـيـةَ . ومن هذا المثل قال الشاعر :

إذا شئتَ أن تُقـلّـى فـزُرْ مُتـَوَاتِراً ... وإن شئتَ أن تـزـدّادَ حـيـّاً فـزُرْ غـيـّاً .

وقال آخر :

عليك بإغـابِ الزّـيـارة إنّهـا ... إذا كـثُرَتْ كـانَتْ إلى الـهـجـرِ مـسـلـكـاً .
ألم تـرَ أن القـطـرَ يُسـأـمُ دايماً ... ويُسـأـلُ بالأيدِي إذا هـوَ أـمـسـكـاً